اللغة العربية في كوت ديفوار

"دراسة وصفية"

toure mahy

(tourefils@gmail.com)

ACADEMIC AFFILIATION:
APPLIED LINGUISTIC
Al-Madinah International University
(Malaysia)

الملخص:

تكمن أهمية هذه الدراسة باهتمامها بظاهرة اجتماعية حصينة في كوت ديوفار، دامت لغزها عبر الزمن والتاريخ؛ حيث تعود بداياتها إلى الفترة التي وصل فيها الإسلام، وقد استفادت في تلك الفترة بمكانة مرموقة عند العامة والملوك، ومع مضي تلك الفترة ودخول الاستعمار (1893م-1958م) تحوّلت من هذا الواقع المرموق إلى واقع العزلة والتهميش، وعانت من جميع ضروب القيودات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية إلى عام (1987م)؛ حيث لوحظ من قبل الحكومة المحلية عدة محاولات؛ تهدف إلى تسوية الوضع الذي خلفه الاستعمار تمثّل حينًا في دراسة وحصر الوضع عام (1988م)، ولقاء مؤسسي المدارس والجمعيات الإسلامية عام (1993م)، وفي حين آخر في حصر عدد دارسي اللغة العربية عام (2008م)، واعتراف المدارس وغيرها من المحاولات. بناء على كل ما سبق يسعى هذا البحث إلى وصف اللغة العربية في كوت ديفوار والمكانة التي تستهلها بين اللغات المتعايشة على الساحة الإيفوارية ويتوقع في آخر هذه الدراسة أن يتمكن الباحث من إعطاء صورة واضحة للغة العربية في كوت ديفوار.

Abstract

A social phenomenon witch has been as long mystery over time in Ivory Coast history. The history of Arabic language it dates back to the period when Islam reached Ivory Coast, and during that period has benefited of prestige in public and kings eyes. over that period and commencement of colonialism (1893-1958), the Arabic Language turned from the remarkable place has been benefited to isolation and marginalization and suffered from all kinds of political, social and economic or linguistic restrictions until 1987; while the government and all related people attempts multiples actions in order to solve the situation created in great part by the colons, so the meeting of (1993), a statistic study in order to limit the number of Arabic language learners (2008), and others, this research seeks to describe the Arabic language in Côte d'Ivoire, by using the descriptive analytical approach. At the end of this study, the researcher will be able to give a clear picture of Arabic language in Côte d'Ivoire

الكامات المفتاحية: اللغة العربية في افريقيا، كوديفوار، اللغة في كوديفوار،

اللغات في كوت ديفوار ومكانة اللغة العربية:

اللغات في كوت ديفوار

دولة كوت ديفوار كأغلب الدول الإفريقية الأخرى تتميز بكثافة اللغات، ولبعض تلك اللغات اعتبارات متعددة؛ سيقوم الباحث بمناقشة هذه الاعتبارات اللغوية بتقسيمها إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

أولا: اللغات في كوت ديفوار باعتبار الفصائل اللغوية:

وهذه الوضعية هي كما وصفها اللسانيون ب(Linguistic Mosaic) أو ما يسمّى باللغة العربية ب (الفسيسفاء اللغوي) والمراد بها أو Linguistic Mosaic أوب (التقاطعات اللغوية Language Crossroads): ولغاية السيطرة على هذه الحالة فقد جمّع بعض العلماء لغات كوت ديفوار في خمس مجموعات[1]:

1. المجموعة الأولى، مجموعة (كوا Kwa): يعتبر هذه المجموعة أهمّ المجموعات اللغوية من حيث حجم الناطقين بها حيث تبلغ عدد الناطقين بها من الإيفواريين (6540553 نسمة)، واللغة السائدة فيها هي (باوولي Baoulé).
2. المجموعة الثانية، مجموعة كرو Kru: تبلغ نسبة عدد الناطقين بها (1917504 نسمة) وأهم لغتها هي لغة بيتي Bêté
3. المجموعة الثالثة، مجموعة غور فولتاييك Gour voltaique: يبلغ عدد الناطقين بها: (3656 517 نسمة) وأهم لغتها هي لغة (سينوفو Senoufo).
4. المجموعة الرابعة، مجموعة ماندي الشمالي Mande du nord: يبلغ عدد الناطقين بها (3276186 نسمة) وأهم لغتها هي (مالنكي Malinke) و (ديولا Dioula).
5. المجموعة الخامسة، مجموعة ماندي الجنوبي Mande du sud: تشمل (دان Dan وغورو و Guro) ويبلغ عدد الناطقين بها (1570438نسمة).

هذه هي المجموعات اللغوية التي تسود في كوت ديفوار، وهذا التقسيم هو التقسيم الشائع والمتواتر عند كثير من المتخصصين إلا أن تواتره لم يمنع إيراد مجموعة سادسة عند بعض المتخصصين وضعوها في هيكل (أخرى) ويبلغ عدد الناطقين بها حسب الإحصائيات الأخيرة (214259) [2] كما أنها تنتمي إلى الفصيلة اللغوية النيجروكنغولية Nigéro-congolaise أو Noger kongo نيجر– كونغو.

الفصيلة اللغوية نيجروكنغولية Nigéro-congolaise أو Noger kongo نيجر– كونغو:

الفصيلة اللغوية أو الفصائل اللغوية: هي النظرية اللغوية التي تقسم اللغات بناء على علاقات داخلية أو خارجية قد تكون مبنية على صلات القرابة اللغوية، أو الروابط الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، أو قد تستند في القسمة إلى قوانين التطور والارتقاء المتعلقة بقواعد الصرف والتنظيم. فتنشيء من كل مجموعة مماثلة أو متشابهة في الكلمات وقواعد البنية والتراكيب فصيلة من الفصائل، تؤلف بينها غالبًا."[3] وعلى هذا الأساس فقد قام بعض علماء اللغة بتقسيم لغات العالم إلى ثلاث فصائل لغوية أساسية[4] ببنائها إما على صلات القرابة اللغوية، أو الروابط الجغرافية والتاريخية والاجتماعية:

- الفصيلة الهندية – الأوربيةIndo – Europeenne ؛ وتشمل اللغات الجرمانية واللاتنية.
- الفصيلة الحامية – الساميةChamito – Samitique : تشمل اللغة العربية والفارسية والعبرية.
- وأخيرا، الفصيلة الطورانيةTouranienne التي زادها ماركس موليز، وهذه الأخيرة تشمل اللغات العالمية الأخرى التي لاتندرج تحت السابقتين بما فيها اللغات السودانية.

وقد ساق الأمر ببعض الآخرين بتقسيمها وتفصيلها بناء على قوانين التطور والارتقاء المتعلقة بقواعد الصرف والتنظيم[5]:

- اللغات التحليلية Analytiques: ويراد بها المتصرفة.
- اللغات الإلصاقية Agglomerantes: تمتاز بالسوابق Prefixes واللواحقSuffixeS .
- اللغات العازلة Isolantes: ويراد بها غير المتصرفة.

وهناك تقسيم آخر أحدث أدق ومفصّل وهو تقسيم جاك لكليرك 2008 Jaques leclerc للغات العالم، فنظرا لكثرة لغات العالم فقد تعاون خلال دراسته على الإصدار السادس عشر لمجلة Ethnologist

للمعهد الصيفي للغويات. Summer Institute of Linguistics. في تكساس ب(أمريكا) حيث توصل إلى أن لغات العالم تندرج تحت اثنتي عشرة فصيلة لغوية وهي كالتالية[6]:

1. اللغات الهندوأروبية Indo – Europeenne: وتشمل اللغات الجرمانية والإغريقية والإيطالية وغيرها.
2. اللغات السينوتبيتية Sino–Tibétaine: وتشمل اللغات الصينية واللغات تبي Tibe وغيرها .
3. اللغات الأسترونيزية Austronésienne: وتشمل مثل سابقتها لغات كثيرة أهمها: لغات ملايو وماووري وغيرها
4. اللغات الأفروآسيوية Afro–asiatique أو اللغات السامية الحامية Chamito–sémitiques: وتشمل اللغات السامية، والعبرية والصومالية والمصرية القديمة وغيرها.
5. اللغات الدرافيديون Dravidienne: وتشمل لغات كثيرة أهمها (تمول) .Tamoul أو (تميل) Tamil، ويتواجدون في جنوب الهند وسرلنكا ونيبال.
6. اللغات اليابانية Japonaise:
7. لغات بانتو Bantoue: تشمل بانتو لغات إفريقيا الجنوبية مثل السواحلية Sawahili و زولو Zoulou ولنغالا Lingala.
8. اللغات الطائية أو التائية Altaïque: نسبة إلى جبال التاي في منغوليا تشمل هذه الفصيلة اللغوية اللغات التركية والمغولية.
9. اللغات الكورية Coréenne
10. لغات أسترو النمساوية Austro–Asiatique: فيتنام Vietnamو خمير Khmer في كامبوديا.
11. اللغات الأورالية Ouralienne:
12. اللغات النيجروكنغوليةNigéro–Congolaise

أما الفصيلة اللغوية النيجروكنغولية Nigéro–Congolaise[7]: هي فصيلة من الفصائل اللغوية العالمية، ويخص بالذكر هنا لأن اللغويين عند تصنيفهم أحالوا اللغات في كوت ديفوار إليها، وهي بهذا الوصف تحتل مساحة جغرافية كبيرة حيث تشمل اللغات الأفريقية الآسيوية أي اللغات السامية والحامية ولغات

نيل الصحراء في الشمال وفي الجنوب تشمل لغات "بانتو Bantou". وعلى ذلك تتوزع الفصيلة اللغوية النيجروكنغولية Nigéro-Congolaise إلى سبع مجموعات عامة:

المجموعة الأولى: مجموعة اللغات غرب المحيط الأطلنسي Ouest-atlantique: وتشمل اللغات الفلانية وولوف Wolof وغيرهما حيث يحزو عدد المنتمين إليها حوالي 30 مليون ناطق منتشرين في أكثر من 60 لغة ويعيشون في البلدان التالية: السنغال، غينيا كوناكري، وغينيا بساو، سيراليون، وغمبيا.

المجموعة الثانية: مجموعة اللغات ماندي أو ماندينغ Mandingue (Mandé): يبلغ عدد المنتسبين إلى هذه المجموعة حوالي: 20 مليون ناطق معبرة خلال مئات اللغات حيث تشمل لغات: ماندي Mandé، مالنكي Malinké، سونينكي Soninké، وسوسو Soso، وتنشر في مالي، كوت ديفوار، بوركينا فاسو، غينيا كوناكري، وغينيا بساو، سيراليون، وغمبيا.

المجموعة الثالثة: مجموعة غور أو فولتايك Voltaïque (Gour ou Gur): وتشمل لغات موسي Mossi، سينوفو Senoufo، ويوروبا Yoroba وغيرها، ويبلغ عدد الناطقين بها: 20 مليون ناطق، موزعة في مالي، كوت ديفوار، بوركينا فاسو، نيجيريا، غانا، طوغو وبنين.

المجموعة الرابعة: مجموعة Adamawa-oubangien: ينتمي إلى هذه المجموعة حوالي: 12 مليون ناطق وتشمل لغات أدماوا Adamawa منطوقة عبر 160 لغة منتشرة في نيجيريا، كاميرون، جنوب تشاد، شمال كونغو كنشاسا، وجمهورية أفريقيا الوسطى.

المجموعة الخامسة: مجموعة Ijoïdo-défaka: ينتمي إلى هذه المجموعة حوالي: مليون ونصف ناطق، وتنشر الناطقين بها في نيجيريا عامة.

المجموعة السادسة: مجموعة كوا Kwa: تحتوي على 60 لغة وتحتل مساحة جغرافية تبلغ 20 مليون ناطقا حيث تألف جزءا من كوت ديفوار (جنوب الشرق) طوغو وبنين، غانا، والجنوب الغربي لنيجيريا. ومن لغاتها المشهورة: باووليBaoule، ولاكان Lakan، أما المجموعة السابعة: فهي مجموعة دغون Dogon: منطوقة من قبل 600،000 ناطق، 77% منها من مالي.

هذه هي حالة اللغات أي وضعية اللغات المحلية في كوت ديفوار، والفصائل التي تنفصل منها وقد حال الوضع إلى الحديث عن الفصائل الكبرى التي تفرعت منها، وهي كما وصفت هي لغات غنية في بنيتها وأصواتها ونغماتها ودلالتها وثرية في جذورها.

ثانيا: اللغات في كوت ديفوار باعتبار لغات محصورة أو منشورة:

قسّم المتخصصون لغات العالم حسب نشرها وحصرها إلى قسمين وهما: اللغات المحصورة أو لغة القطيع Gregaire، واللغات المنشورة أو السائرة.

فاللغة المحصورة أو لغة القطيع Gregaire: ويعنى بها "لغة لجماعة صغيرة من الناس تقتصر التواصل بها على عدد محدود من البشر، ويتميز شكلها بإرادة الحد من انتشارها، كما هو الحال في الأشكال المشفرة"[8]

أما اللغة المنشورة أو السائرة: بمقابل (لغة القطيع) تعنى بها تلك اللغة المتفتحة الدائرة يتحدث بها أكبر عدد ممكن من الناس، وتسعى إلى التقارب بين أهل أعضاء لغات مختلفة مما يؤدي إلى ولادة شفرة خاصة تسمى: "لغة الخليط" والتي تنتج عن ثمرة الاحتكاك اللغوي وإلى حاجة الجهتين للتواصل[9].

وقد تكون اللغة من مجموعة لغوية مّا منشورة في مجتمع وحاصرة في مجتمع آخر مثل لغة More أو Mossi هذه اللغة تعتبر في بوركينا فاسو لغة منشورة بينما في كوت ديفوار هي لغة لجماعة صغيرة من الناس هاجروا إلى كوت ديفوار فهي بهذا الوصف لغة حاصرة لقطيع من المجتمع.

بناء على هذه النظرية فإن حاجة التواصل في كوت ديفوار– فسيسفاء اللغة– ساهمت إلى تنمية وترقية لغتين ونشرهما وهما: لغة ديولا Dioula واللغة الفرنسية الشعبية أو ما يعرف ب"نوشي" Nouchi، وقد ساهم في ذلك عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية، وسيتم تناولها خلال الفقرة التالية.

لغة ديولا Dioula:

هي إحدى اللغات الشائعة أي المنشورة في المجتمع الإيفواري وتنحصر على مجموعة ماندي Mandé من الفصيلة اللغوية النيجروكونغولية، وهي لغة في الأصل شائعة تنتشر في شمال كوت ديفوار خاصة وفي البلاد كاملة بشكل محصور، لكن نشرها في جميع أنحاء البلاد وكونها لغة سائرة يرجع سببه إلى عاملين وهما عامل التجارة وعامل الهجرة اللّذان صاحبا التنمية المعمارية لجنوب البلاد والتي جذبت التجار

الشماليين وهؤلاء التجار عند هجرتهم أتوا بلهجات خاصة بحرفهم ومهنتهم، ولغة ديولا لا زالت تسود في البلد لا سيما في قطاعي التجارة والنقل.[10]

اللغة الفرنسية الشعبية Nouchi:

وليدة كوت ديفوار وخليطة مجموعة متنوعة من اللغات المحلية مع اللغة الفرنسية، شاهدت الساحة اللغوية الإيفوارية ظهور هذا النمط من المخاطبة في بداية السبعينات عندما لاحظ ذلك بعض المتخصصين سموها: اللغة الفرنسية الشعبية الإيفوارية[11] وبحثا لأسباب ظهورها فقد اختلفت وجهتهم في إثبات العوامل التي ساعدت على ظهور هذا النمط من التخاطب:

- أولا: دافع ضعف المنهج التعليمي.
- ثانيا: دافع الجهالة باللغة الفرنسية بصفتها لغة أجنبية.
- ثالثا: دافع الهجرة الداخلية والخارجية.

اللغة الفرنسية:

منذ فرضها على المجتمع المحلي مع بداية الاستعمار بموجب لائحة رقم: 29 مايو 1911م؛ مرت اللغة الفرنسية منذ ذلك العهد إلى عصرنا الحالي بعدة مراحل، حالت عن وضعيتها الشرعية بتصنيفها من حالة إلى أخرى أي من حالة "اللغة الأجنبية" إلى حالة "اللغة الرسمية" وقد يصل بها الوضع تارة إلى حالة "اللغة الملكية"، وفي هذا الجانب يعتبر اللغة الفرنسية من اللغات المنشورة في كوت ديفوار.

فاللغة الرسمية بمقابل "**اللغة الوطنية**": تعنى بها اللغة التي قررت الدولة دعم قوتها للاستخدام العام إما عن طريق القانون الدستوري أو في كثير من الأحيان عن طريق التشريع العادي[12]

وبناء عليه، ومع العجب العام فإن اللغة التي تتوج بتلك التقديرات السياسية والشرعية في الساحة اللغوية الإيفوارية من قبل الحكومة الإيفوارية هي اللغة الفرنسية حيث باح بذلك أول دستور إيفواري المحرر في عام 1960م وذلك في لائحته الأولى، وأكّد عليه الدساتير المتعاقبة إلى الأخير المحرر عام2016م حيث أشاد في لائحته الرابعة وأربعين: " دولة كوت ديفوار هي جمهورية مستقلة وحرة، شعار الوطن: هو علمها مثلث الألوان بأبعاد متساوية.: برتقال- أبيض- وأخضر، ونشيد الوطن هو: Abidjanaise، شعار الجمهورية هو: الاتحاد، الانضباط، العمل، وأخيرا اللغة الرسمية هي اللغة الفرنسية".

وقد برهن أول رئيس البرلمان الإيفواري أمام مجلس الأمم المتحدة على هذا الاختيار بقوله:" بخصوص دولتي يجب علي أن أقول بأن اعتماد اللغة الفرنسية من خلال اللائحة الأولى من دستورنا كان بلا شك واحدة من العوامل التي أدت ودعمت ختاما ناجحا وسريعا إلى الوحدة الوطنية إحدى أهداف الرئيس "فليكس أوفويت"، قبولنا للفرنسية كان عاملا للتماسك والوحدة في كوت ديفوار حيث شجع توطيد بضع مئات جماعاتنا العرقية".[13]

يعاد على هذا القول بأن اللغة الفرنسية منذ انخراطها في المجتمع الإيفواري مع دخول المستعمر لم تلعب يوما دورا أشبه بالوحدة الوطنية بل بالعكس نتج عنه إنشاء نمط تشكيلي جديد لهيكل المجتمع بناء على اللغة، حيث حال الوضع الاجتماعي منذ فرضها بترويج فئة معينة للحصول على مكان في المجتمع الاستعماري، وتشكيك المجتمع بتصنيفه إلى ثلاثة أصناف[14]:

1. الصنف الأول؛ صنف النخبة أو النخبة اللغوية: يمثل هذا الصنف المتحدثون بالفرنسية المتميزة ما سماه المتخصصون بالفرنسية Acrolectal.
2. الصنف الثاني؛ صنف Mésolectale أو فرنسية المتعلمين: ويعنى بMésolectale تلك الخليط من الفرنسية القياسية باللغات المحلية "إفريقية الدلالة".
3. الصنف الثالث؛ صنف البسطاء والأميين Basilectable.

ثالثا: اللغات في كوت ديفوار باعتبارها لغة التعليم:

على غرار وصورة المجتمع الإيفواري والبيئة اللغوية الإيفوارية ذوات متعددة العرق والقبائل ولسان التخاطب، يحتوي نظام التعليم الإفريقي عامة ونظام التعليم الإيفواري خاصة على نظام "متعدد اللغات" ففي كوت ديفوار يحتوي النظام التعليمي على اللغة الفرنسية، الإنجليزية، الإسبانية الألمانية والعربية وأخيرا اللغات المحلية.

فمنها ما هي معترفة بها وتستفيد من سياسات خاصة من الحكومة، مثل اللغات الأروبية، ومنها ما ليس ذلك، مثل اللغة العربية لدى المسلمين وفي المدارس الإسلامية، واللغات الوطنية.

اللغة الفرنسية:

للغة الفرنسية في كوت ديفوار كما سبق عدة اعتبارات فهي إضافة على مكانتها السياسية والشرعية أي بصفتها "اللغة الرسمية المدسترة" تعتبر كذلك "لغة التعليم الرئيس الفريد" حيث حالت عليها هذه الميزة بموجب القانون الاستعماري رقم: 64 مرسوم 1 مايو 1924م الذي مفاده:" اللغة الفرنسية هي اللغة الوحيدة التي يجب استخدامها في المدارس، ويحرم على المعلمين استخدام اللغات المحلية في عملية التعليم"[15].

وهذه الاعتبارات المختلفة هي ما حمّلت المتخصصين إلى التساؤل حول المكانة الفعلية للغة الفرنسية في المجتمع الإيفواري خاصة وغيرها من المجتمعات الفرنكفونية الأخرى عامة، كما حملهم كذلك هذا التساؤل إلى البحث عن الطرق الموثوقة علميا على تعليمها وتعلمها؛ فهذا البعد سبب الاختلافات في تحديد مكانة اللغة الفرنسية وطرق تعليمها: فأدى الأمر بالبعض على وصف اللغة الفرنسية في كوت ديفوار أنها "لغة أجنبية" وبعضهم الآخر "لغة ثانية" بينما اعتبرها مجموعة أخرى، "لغة إيفوارية" وبالتالي "لغة وطنية"[16] وكل هذه الاعتبارات هي ما قادت إلى مؤتمر غابون لعام: 2003م، وذلك لإيجاد أجوبة عن المشكلات التالية: ما المعيار لتدريس اللغة الفرنسية في إفريقيا الناطقة بالفرنسية؟ أو ما الطريقة المثلى لاستخدام المصالح الوطنية؟

اللغة الإنجليزية:

إحدى اللغات الجرمانية تنتمي اللغة الإنجليزية إلى الفصيلة الهندوأربوية وهي في العالم المعاصر تحتل مكانة مرموقة حيث أكدت بعض الدراسات الحديثة مثل الدراسة التي قادها الباحث Davil Graddol التي قادها برعاية المجلس الثقافي البريطاني British Council بأن عدد الناطقين باللغة الإنجليزية (كلغة أم) أو (كلغة أجنبية ثانية) يصل إلى (خمسمائة وثمانية مليون ناطقا) وهي بهذا الاعتبار تحتل المرتبة الثانية على مستوى الناطقين باللغة (كلغة الأم).[17] بعد اللغة الإسبانية[18] وفي الرتبة الأولى بدرجة: 1.5 مليار ناطق نظرا لنمو عدد الناطقين بها سنويا بما يتمثل ب 2000 وذلك على جميع مستوى القطاعات؛ سواء التعليمية، الإدارية، أو القضائية، وإضافة إلى ذلك فإن بعض الإحصائيات تقول أن ربعا من سكان العالم يتحدثون باللغة الإنجليزية بشكل طلق أو بكفاءة[19].

وفي كوت ديفوار اليوم تحتل اللغة الإنجليزية مكانة "اللغة الأجنبية الأولى" في النظام التعليم الإيفواري بعد الفرنسية وقبل اللغتين الإسبانية والألمانية، حيث يفرض على الطالب منذ دخوله مرحلة المتوسطة إلى الثانوية تجاوز مادة اللغة الإنجليزية، وحسب كلام السيد كوياتي[20] لدى مقابلته 2016م بأن الحكومة الإيفوارية في صدد إعداد خطة تعليمية سيتم عبرها تحديث المقررات التعليمية في المدارس الحكومية بإدخال اللغة الإنجليزية منذ الابتدائية إلى الدراسات الجامعية.

اللغة الإسبانية:

وفقا للتقرير الصادر من معهد Instituto Cervantes، يبلغ عدد الناطقين باللغة الاسبانية حاليا في العالم قرابة 400مليون شخص، وهذا العدد يشمل الناطقين بها باعتبارها "لغة الأم" "لغة ثانية" أو "لغة أجنبية"[21]

وفي كوت ديفوار تحتل اللغة الإسبانية اليوم في نظام التعليم الإيفواري مكانة "اللغة الأجنبية الثانية" وذلك بعد اللغة الإنجليزية وفي نفس المرتبة مع اللغة الألمانية وهما مادتان اختياريتان يجب على الطالب منذ دخوله في المرحلة المتوسطة الثانية الاختيار بين هذه اللغتين كمادة اختيارية اجتيازية.

اللغة الألمانية:

يعيد المتخصصون اندماج اللغة الألمانية في نظام التعليم الإيفواري إلى عنصرين اثنين: منه ما هو تاريخي وآخر سياسي[22]:

فالتاريخي: في سياق حلّ نظام التعليم الفرنسي في المستعمرات مع حلول المستعمر تم اندماج تعليم اللغة الألمانية في نظام التعليم الإفريقي وذلك في عام: 1919م/ 1920م في مدرسة ثانوية (FAIDHERBE) في سان لويس (Saint-Louis) في السنغال حيث كانت اللغة الألمانية مدروسة كلغة ثانية في المرحلة الثانوية وفقا للمناهج والكتب المدرسية المستخدمة في فرنسا.[23]

أما السياسي: وبعد نيل الاستقلال كان التحدي الذي ظهر أمام السطلة الأهلية بعد استلامهم الحكم يتمثل في إيجاد نمط سياسي فعّال وإعادة النظر في سياسات دولهم المختلفة من الاستعمار بما فيها التعليم لكن الساسة الإيفواريين اختاروا سياسة تعليم "عدم التدخل" بما يعني أنهم خضعوا للسياسات التعليمية واللغوية الاستعمارية والعمل بها[24].

اللغات المحلية:

مع كثافة اللغات المحلية في إفريقيا وثروتها الصورية والصوتية وتوسع استخدامها في أرباع البلاد، لم تنل اللغات المحلية المكانة الرسمية التي نالتها اللغات الأروبية في دستور كثير من الدول الإفريقية لا سيما الفرنكفونية منها، فدساتير بعض تلك الدول لا تنص البتة عن مكانة اللغات المحلية ولا عن استخداماتها لا في المجتمع ولا في المؤسسات التعليمية، وبعضها وإن تحدثت عن مكانتها إلا أن هذا التنصيص يسيطر عليه الاعتراف الجزئي وهذا ما ذكره الهلوي عند وصفه الوضع اللغوي السائد في إفريقيا الفرنكفونية في كتابه (Lois et reglements linguistiques des etats francophones) حيث أفاد أنه بمراقبته للواقع اللغوي في إفريقيا الفرنكفونية لخص صورتين تحددان وضعية اللغات المحلية ويعني به "التصميم الكلي " هو ما يأخذ بالاعتبار جميع اللغات المنطوقة و"التصميم الجزئي " هذا الوضع لا يأخذ بالاعتبار إلا لغات محدودة[25] كما أشار إلى وضعية عالمية للغات المحلية مقسما إلى "Territorialiste " يأخذ بالاعتبار اللغات المحلية الأكثر شيوعا و "Extraterritorialiste " يأخذ بالاعتبار اللغات المحلية المنشورة لكن الأقل شيوعا أو "Unitariste " ويقابلها الحالة الوضعية "Pluraliste "[26].

ما سبق ذكره عن الوضع اللغوي في المجتمعات الفرنكفونية الإفريقية عامة، لم يختلف عن الوضع اللغوي في المجتمع الإيفواري على وجه الخصوص، بل اتسع وتعمّم على جميع مستويات التعليم على رغم الإرادة السياسية حينذاك.

في السبعينات طلبت الحكومة الإيفوارية من معهد اللغويات التطبيقية في الجامعة الوطنية ووزارة التربية والتعليم بدراسة إمكانية إدراج اللغات المحلية في النظام التعليمي وذلك تحت مشروع: "برنامج المدرسة المتكاملة" "Programme d'école intégrée " تم تطبيق التجربة على عشر لغات محلية بإدراجها في نظام التعليم، ونظرا للنتيجة الإيجابية للدراسة؛ رفعت السلطة التنفيذية مقترح مشروع " المدرسة المتكامل" إلى البرلمان من خلال مشروع الإصلاح التعليمي في عام: 1977م خصّصت موادا قانونية لبرهنة إندماج اللغات الوطنية في التعليم الرسمي وذلك عبر مادة 67: ونص البند على ما يلي"ينبغي أن ينظر إلى إندماج اللغات الوطنية في التعليم الرسمي إلى أنه عامل من عوامل الوحدة الوطنية وإعادة تقييم التراث الثقافي في كوت ديفوار"[27]، وعقبها أتت المادة 68 تأييدا للمادة السابقة ومبينا الهيئة المسؤولة

لتنفيذ القرار المعتمد من البرلمان. ومع ذلك فإن هذا المشروع الجميل لم يزل يتلمّس في زوايا رفوف البرلمان يحول بينه وبين تطبيقه في القطاع التعليمي الإرادة السياسية الفعّالة.

مكانة اللغة العربية في كوت ديفوار:

للغة العربية اعتبارات كثيرة؛ فهي تعتبر تارة لغة دين وتارة أخرى لغة ثقافة وفي حين آخر لغة عصر، وتعد إحدى أكثر اللغات تحدثاً ونطقاً من ضمن مجموعة اللغات السامية، وأكثرها انتشاراً في العالم، وأوسعها مكانة، يتحدث بها أكثر من 422 مليون نسمة، ويتوزع المتحدثون بها على الوطن العربي، إضافة إلى العديد من المناطق الأخرى المجاورة: كالأحواز وتركيا وتشاد ومالي وإرتيريا وإثيوبيا و جنوب السودان و إيران وغير هذه الدول.

"لغة دين": يتضرع بها المسلمون في صلواتهم إلى الله وهي باعتبار بعض الفقهاء أي الجمهور منها: مثل المالكية والشافعية والحنابلة على أنها ركن أساسي لا يجوز الصلاة بغيرها سواء علمها المصلّي أو لم يعلم بها، لكن هناك رأي آخر نصب إلى أبي حنيفة مفاده إلى أنه لا يجوز للمصلي الصلاة بغير العربية إن كان يحسنها بينما إذا لم يستطع القرآءة بها يجوز له أن يقرأ بغيرها أي بالمترجم منه[28]. وهي أيضاً لغة شعائرية رئيسية لدى عدد من الكنائس المسيحية في الوطن العربي، وقد كتبت بها كثير من أهم الأعمال الدينية والفكرية اليهودية في العصور الوسطى.

"لغة ثقافة": باعتبارها (لغة رسمية) في كل دول الوطن العربي (التي تمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى بحر العرب والخليج العربي شرقاً وشاملاً الدول التي تنضوي في جامعة الدول العربية في غرب آسيا وشمال أفريقيا وشرقها جغرافياً) وإضافة إلى كونها لغة رسمية في تشاد وإريتريا وإسرائيل في المرتبة الرسمية الثانية.

"لغة عصر" و"لغة عولمة" أو (لغة عالمية): باعتبارها إحدى اللغات الرسمية الست –الصينية والانكليزية والفرنسية والروسية والإسبانية– في الأمم المتحدة [29] وذلك لما رأت الهيئة العليا للأمم المتحدة أن قصور المراسلات المهنية اليومية في لغتي اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية لم تعد شغلا شاغلا لجميع الأمناء العامة فقامت تتخذ عدة إجراءات وقرارات منذ عام: 1946م إلى يومنا المعاصر لتسييس

اللغات واندماج اللغة العربية ضمن اللغات الحية الرسمية في المنظمة، كان هدفها: تعزيز استعمال اللغات الرسمية حتى تكون الأمم المتحدة وأهدافها وأعمالها مفهومة لدى الجمهور على أوسع نطاق ممكن[30].

وفي منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونسكو): تعد اللغة العربية إحدى لغات العمل الست في الهيئتين الرئاسيتين للمنظمة المتمثلة في المجلس التنفيذي والمؤتمر العام، وقد تم ترسيمها لغة عمل للمنظمة إلى جانب اللغة الإنجليزية والفرنسية خلال المؤتمر العام الذي انعقد في بيروت عام: 1948م[31].

أما عن مكانة اللغة العربية في كوت ديفوار، مع قدم جذورها في الساحة اللغوية الإيفوارية مرت باعتبارات عديدة "لغة أجنبية حية" إلا أنها مع قيودات السياسات اللغوية المرسومة من قبل المحتلين ضدها لم تجعلها تستفيد إلى حد الآن من المكانة الرسمية التي استفادت منها غيرها من اللغات الأجنبية الحية التي دخلت على الساحة اللغوية مثل الإنجليزية والإسبانية والألمانية، ومع ذلك فقد استطاعت أن تشق لنفسها مكانة ملحوظة لتصبح "لغة دين" و"لغة التعليم".

"لغة دين": "لغة الصلاة " والعبادة، لغة تساعد المسلمين على التعمق في فهم أمور دينهم وهذا الدور والترابط وهذه الوظيفة الروحانية هي ما أعطت للغة العربية ذروتها ووحدتها عبر الزمن والتاريخ منذ ولوجها في المنطقة "من خلال اتصالاتنا بالأهالي اكتشفنا أنهم فهموا أهمية لغة مكتوبة، ألا وهي اللغة العربية التي أقبلوا عليها، لأن هذه اللغة تساعدهم على التعمّق في معرفة الدّين الإسلامي، ومن الصّعب أن نجد من بين المعلّمين القرآنيين من يتعاطف معنا..."[32]، (وليام بو نتي[33] William Ponty).

"لغة التعليم": تتحلّى اللغة العربية في كوت ديفوار مكانة أخرى هي كونها "لغة التعليم" في المؤسسات الإسلامية عبر المؤسسات التالية:

- "الكتاتيب" اللغة التعليمية فيها "اللغة العربية مع "اللغات المحلية"
- "المدارس القرآنية" اللغة التعليمية فيها "اللغة العربية" ونسبة قليلة من " اللغة الفرنسية" مع اللغات المحلية.
- "مدارس فرانكو عرب" اللغة التعليمية فيها "اللغة العربية" و "اللغة الفرنسية" مع اللغات المحلية.

الخلاصة:

كما سبق الحديث عنه؛ فإن اللغة العربية في كوت ديفوار قبل دخول الاستعمار كانت تحتلّ مكانة عالية باعتبارها اللغة الرسمية تستخدم في أكبر الوظائف والشؤون الدينية.

ومع دخول المستعمرين شهدت اللغة العربية عامة وتعليم اللغة العربية في كوت ديفوار خصوصًا، توجيهات سياسية لغوية متعددة، تمثّلت حينًا في تدبيرات سياسية، وفي حين آخر في قرارات قانونية، كانت إحداها؛ سياسة التعايش اللغوي والتي مكّنت للغة الفرنسية وجودًا إلى جانب اللغة العربية.

وبعد أن استقر وتمكّن، شرع المستعمِر في تصميم سلسلة من القرارات والقوانين، والأنظمة تتعلق بتوسيع دائرة القيود على استخدام اللغة العربية وتعليمها.

وقد ساهم كل هذا في تحقيق سياسة لغوية شاملة، خططتها مسبقًا إدارة الاستعمار وذلك لتعزيز لغتها وهيمنتها، ومحاولة فرنكفونية العديد من مستعمراتها كما هو مبيّن في مقتطف الحاكم العام، ذي الرقم(1) مايو (1924م).

وبعد هذا الاستثمار البشري والمادي الهائل من قبل الاستعمار، رأى الدارسون والمهتمون بقضايا اللغة العربية أنفسهم مهمّشين ومهملين، بعدما أن كانوا في مكانة مرموقة، جلساء الملوك ومستشاريهم في الأمور الدينية والدنيوية.

وفي عام (1960م) أُعلنت كوت ديفوار دولةً مستقلةً، وهذا البيان اعتبره الشعب الإيفواري المستعمَر رمز انطلاق نحو الحرية؛ بطبيعة الحال نهاية وجود المستعمَرين وبداية عهد سياسي جديد، أدّى بشكل رئيسي تولية الأمور لمسؤولين محليين، لكن ما يؤسف أنه تم اختيارهم في الغالب من قبل المستعمر قبل مغادرته، مما يعني أنه من الطبيعي أن يكون للمستعمِر وجود معنوي، وعيون يعملون لتحقيق مصالحهم، وهذا ما يؤكده الكاتب السنغالي إيف دِيسَار عندما تناول حضور المستعمر ودورهم في المجتمع الإفريقي، حيث أكّد أن: "البيض لا يزالون في إفريقيا، ولا يزالون يقومون بدور مهمّ في النظام، لقد تخلّو عن الحكم على الأقلّ في الظاهر، لكن وجودهم لايزال عاملًا بارزًا، إن لم نقل أساسيا في مختلف الإدارات، فهم يؤثرون على سياسة الاستيراد والتصدير، ويمتلكون ويديرون أكبر البيوتات التجارية نشاطًا، أما التربية والنشاطات الثقافية والاجتماعية فإنها لاتزال كما كانت في السابق مرتبطة بهم"[34]

لم تهتم الحكومة بدارسي اللغة العربية ومدارس تعليم اللغة العربية إلاّ في عام 1990م ليلاحظوا نوعا من التغيير، وقد تجلّى أساسًا من جانب ضيق يختصّ بالاعتراف الجزئي، ومن جانب آخر في جملة من المعاهدات لم تفارق الأوراق حتى الآن بشكل ملحوظ، بمعنى أن الاعتراف خصّ بالجانب الفرنسي وهمّش الطرف الآخر الذي هو تعليم اللغة العربية، وتلك القرارات نفسها التي أثرت على جميع السياسات اللغوية المرسومة لهذا الغرض حتى اليوم.

المراجع:

1. صبحي الصالح، **دراسات في فقه اللغة**، ط.1
2. **حرب اللغات والسياسات اللغوية**، ط1،
3. ساتي مهدي، **اللغة العربية وصراع الثقافات في السنغال**، مجلة دراسات إفريقية، العدد الثاني عشر

1. La population francophone de Côte-d'Ivoire : données statistiques et estimation pour 1980, p8.
2. J. et M.J. derive**; Francophonie et pratique linguistique en Côte d'Ivoire,** p43
3. LECLERC, Jacques, "**Les grandes familles linguistiques",** dans *L'aménagement linguistique dans le monde*, Québec, CEFAN, Université Laval, 09 janvier 2017, http://www.axl.cefan.ulaval.ca/monde/familles.htm
4. Duponchel, L (1979), « **Le français en Côte d'Ivoire et au Togo** » Dans Valdman, Albert (ed 1979), *le français hors de France*, Paris, Champion, 385- 419
5. Lucie Lecomte, « **langues officielles ou langues nationales le choix du Cannada »** publication n: 2014-81-F, Fev 2015
6. Jérémie Kouadio N'Guessan (2008), « **Le français en Côte d'Ivoire : de l'imposition à l'appropriation décomplexée d'une langue exogène »** Documents pour l'histoire du français langue étrangère ou seconde
7. Kube, S. (2005) **« La francophonie vécue en Côte d'Ivoire** » Paris Le harmattan
8. MOUMOUNI, Abdou: « **Education en Afrique. Paris: Maspéro** », 1964
9. Abou FOFANA, « **Des choix méthodologiques dans l'enseignement du français a l'école primaire en côte d'ivoire »** revue électronique internationale de sciences du langage surlangues N° 14 - Décembre 2010 http://www.sudlangues.sn/ ISSN : 08517215
10. David Graddol, *English Next. Why global English may mean the end of 'English as a Foreign Language'*, British Council
11. Augustin, AGNIMEL Sess, «**L'enseignement de l'allemand dans les lycéns et collèges de côte d'ivoire**» thesis doctorat,

(1) La population francophone de Côte-d'Ivoire : données statistiques et estimation pour 1980, p8.

(2) J. et M.J. derive**; Francophonie et pratique linguistique en Côte d'Ivoire,** p43

(3) صبحي الصالح، **دراسات في فقه اللغة**، ط.1، ص41

(4) مرجع سابق، ص42

(5) مرجع سابق، ص45.

(6) LECLERC, Jacques, "**Les grandes familles linguistiques",** dans *L'aménagement linguistique dans le monde*, Québec, CEFAN, Université Laval, 09 janvier 2017, http://www.axl.cefan.ulaval.ca/monde/familles.htm , 10/07/2017

(7) LECLERC, Jacques, " **Les langues nigéro–congolaises** ", dans *L'aménagement linguistique dans le monde*, Québec, CEFAN, Université Laval ,10 janvier 2017, http://www.axl.cefan.ulaval.ca/monde/familles.htm

(8) **حرب اللغات والسياسات اللغوية**، ط،1، ص 123 مرجع سابق

(9) مرجع سابق، ط1، ص 124

(10) La population francophone de cote divoire : donnees statistiques et estimation pour 1980, p8 .

(11) Duponchel, L (1979), « **Le français en Côte d'Ivoire et au Togo** » Dans Valdman, Albert (ed 1979), *le français hors de France*, Paris, Champion, 385- 419.

(12) Lucie Lecomte, « **langues officielles ou langues nationales le choix du Cannada »** publication n: 2014-81-F, Fev 2015, p.02.

(13) Jérémie Kouadio N'Guessan (2008), « **Le français en Côte d'Ivoire : de l'imposition à l'appropriation décomplexée d'une langue exogène »** Documents pour l'histoire du français langue étrangère ou seconde, p. 6.

(14) Kube, S. (2005) **« La francophonie vécue en Côte d'Ivoire** » Paris Le harmattan, p. 39

(15) MOUMOUNI, Abdou: « **Education en Afrique. Paris: Maspéro** », 1964, p55

(16) Abou FOFANA, « **Des choix méthodologiques dans l'enseignement du français a l'école primaire en côte d'ivoire »** revue électronique internationale de sciences du langage surlangues N° 14 - Décembre 2010 http://www.sudlangues.sn/ ISSN : 08517215 p. 34

(17) David Graddol, *English Next. Why global English may mean the end of 'English as a Foreign Language'*, British Council, 2006.

(18) Davide Crystal, 1997, 2003 "**English as a global language"** second edition, Cambridge University Press, p. 3

(19) Davide Crystal, 1997, 2003 "**English as a global language"** second edition, Cambridge University Press, p. 6

([20]) كوياتي دريسا مفتش في وزارة التعليم الإيفواري، ومن جانب آخر رئيس اللجنة العاملة على اندماج المدارس الإسلامية في النظام الحكومي.

([21]) Instituto Cervantes, http://www.cervantes.es/imagenes/File/guias/guia_ic_2009-ingles-aus.pdf

([22]) Augustin, AGNIMEL Sess, «**L'enseignement de l'allemand dans les lycéens et collèges de côte d'ivoire**» thesis doctorat, p. 13

([23]) Augustin, AGNIMEL Sess, thesis doctorat p. 13

([24]) Augustin, AGNIMEL Sess, thesis doctorat p. 14

([25]) Halaoui, Nazam, 1995, «**Lois et reglements linguistiques des etats francophones**» Paris: ACCT, p 21

([26]) Halaoui, Nazam, 1995, p 21

([27]) LECLERC, Jacques, "**Côte d'Ivoire",** dans *L'aménagement linguistique dans le monde*, Québec, CEFAN, Université Laval, 03 Fevrier 2017, http://www.axl.cefan.ulaval.ca/afrique/cotiv.htm, 10/09/2017

([28]) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، **مجموع الفتاوى، ط3**، (22/477).

([29]) موقع المكتبة الرقمية لمنظمة الأمم المتحدة، عنوان: **What are the official languages of the United Nations?**، الرابط: http://ask.un.org/faq/14463، تاريخ الزيارة: 2017/01/25م.

([30]) الموقع العربي لمنظمة الأمم المتحدة: http://www.un.org/ar/sections/about-un/official-languages/index.html تاريخ الزيارة: 2017/01/25م.

([31]) الموقع العربي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونسكو): http://www.unesco.org/new/ar/unesco/resources/history-of-the-arabic-language-at-unesco، متاح على الموقع بتاريخ: 2017/01/25م.

([32]) Circulaire Du 30/08/1912, J.O. A.O.F 1912 P: 565.

([33]) **أميدي وليام ميرلود بونتي (1866م – 1915م)** Ponty-Amédée William Merlaud م، مسؤول فرنسي، والحاكم العام للإدارة الاستعمارية في غرب أفريقيا الفرنسية من 1908 م إلى موته.

([34]) ساتي مهدي، **اللغة العربية وصراع الثقافات في السنغال**، مجلة دراسات إفريقية، العدد الثاني عشر، رمضان 2004.